

البئر منكساً مقروناً بكلب ميّت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه .

فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قرْنٍ^(١)
أفٌ لملقائك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن^(٢)
الحمد لله العليّ ذي المنن الواهب الرزّاق ديّان الدّين
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبرٍ مرتهن^(٣)

* * *

اكتبوا عبدي هذا في المتجبرين :

أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله صلوات الله عليه هبةً لم يعطها أحداً من العالمين ، ومع ذلك فقد كان صلوات الله عليه قِمةً في التواضع .

فها هو ذا يأتيه رجلٌ إلى المدينة المنورة ، وما إن دخل عليه حتى دخل الخوف قلب الرجل وأصابته رعدة شديدة ، ولاحظ رسول الله ﷺ ذلك على وجه الرجل فقال له : « هوّن عليك ، فإنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد^(٤) »^(٥) .

(١) القرْن : هو الحبل الذي يُشدُّ به الأسير .

(٢) الغبن : الخديعة .

(٣) من البداية والنهاية لابن كثير : ١٦٤/٣ .

(٤) القديد : اللحم المجفف (المقدّد) .

(٥) رواه ابن ماجه .

ويأتيه عمُّه العباس فيقول له ﷺ :

« أنهاك عن الشُّرك والكِبْر ، فإن الله يحتجب منهما » .

ثم يؤكِّد للأُمَّة حقيقة مفادها : أن التواضع لله نتيجه الحتمية الفوز بدرجات العُلَى ، والرفعة الأبدية ، فيقول صلوات الله عليه :
« ما تواضع أحد لله إلا رفعه »^(١) .

ثم يحذّر من التكبر تحذيراً شديداً للهجة ، ويوصف المتكبرين وصفاً لاثقاً بهم فيقول عليه الصلاة والسلام :
« اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله تعالى لملائكته :
اكتبوا عبدي هذا في الجبارين »^(٢) .

ويزيد الأمر إيضاحاً ليعطينا القول الفصل في الكبر - سواء كان كثيراً أو قليلاً - ويبين لنا ما يؤول إليه هؤلاء يوم ننقلب إلى الله تعالى فيقول :
« لا يدخل الجنة من كان في مثقال حبة من كِبْر »^(٣) .

نسأل الله أن يبعدنا عن الكِبْر ، وأن يجعلنا من عباده المتواضعين .

* * *

كيف نُؤدِّي الشكر ؟

روي أن كليم الله موسى عليه السلام قال : يارب ، كيف لي أن أوُدِّي شكر نعمك ، ولك عليّ في كل شعرة نعمتان ؟ فجاءه الجواب :
يا موسى ، إذا عرفت أنك عاجز عن شكري فقد شكرتني .

(١) رواه مسلم .

(٢) السيوطي في ضعيف الجامع الصغير .

(٣) رواه مسلم والترمذي .